الليدي درور

على ضفاف دجلة والفرات

دار الوراق للنشر

الفصل الرابع

الصابئة[1]

إنه مكب على عمله في دكان صغير... وهذه نار تتوهج بين الفينة والفينة، يذكيها، بمنفاخ من جلد المعز، طفل صغير...

وله لحية سوداء ملساء، وعينان سوداوان، ترتفع إليك بين حين وآخر فتنبعث منها نظرات عميقة آسرة، نظرات الدارس الفاحص المتعمق!.

وقسمات وجهه لطيفة متناسبة، وبشرته بيضاء...

---

(1) فرقة دينية قديمة اسمها «منذايا» والعامة تسميها «الصبة» والفصحاء يسمونها (الصابئة) وسلفنا الصالح سماها «صابئة البطائح». والطابع المميز لهذه الفرقة أنها كاليهود، واليزيدية تحصر نفسها في نطاق ضيق، ولا تختلط بمن يحيط بها، وإن تزوج الصابئي، أو تزوجت الصابئية، خرجت من الطائفة تلقائياً. إن موطن الصابئة في العراق هو منطقة البطائح والعمارة والناصرية والبصرة والقرنة وقلعة صالح وحلفاية وسوق الشيوخ. وقد توجد منهم جماعات في سائر مدن العراق أو في بيروت ودمشق والاسكندرية. وقد كان عدد كبير منهم في خوزستان من أعمال إيران ولكن العدد هذا آخذ في التناقص. ولقد ذكر اسم الصابئة 3 مرات في القرآن الكريم مقروناً باسم اليهود والنصارى وباعتبارهم من أهل الديانات المعترف بها. والراجح أن المقصود بالصابئة على ما ورد في القرآن الكريم هم (الحرانية) وقد كان الكثير منهم في بلاط الخلفاء وقام بعضهم بترجمة الكتب الإغريقية إلى العربية، كما كان منهم الأطباء والمنجمون والفلاسفة والشعراء. ولقد ألفت العالمة الإنكليزية مؤلفة هذا الكتاب الليدي درور كتاباً مفصلاً عنهم بعنوان: The Mandaeans Of Iraq and Iran.
وطبعته جامعة أوكسفورد فليرجع إليه من يريد استقصاء خبرهم على وجه التفصيل والتدقيق. (المترجم).

إنه يرفع إبريق القهوة الفني من فوق منضدة صغيرة، صفت عليها بضاعته، فيعرضه عليك. والإبريق منقوش بالميناء، وعلى جوانبه صور من خطوط، هذا مسجد، وهذه سفينة (مهيلة) ـ وقد أرسلت أشرعتها لتسير باسم الله مجراها ومرساها، وهنا خروف، وهناك إبل، وهنالك نخل باسقات لها طلع نضيد...

وإنك لتلمس في هذه الصور جميعاً روح الفنان، فيخيل إليك أن السفينة تجري حقاً، وأن الإبل تباري الريح في سيرها حثيثاً، وأن النهر يتدفق بمائه غدقاً... ولعلك تسأل عن سعره فيجيبك بصوت خفيض، فهذا الإنسان لقّن منذ طفولته، والتزم بذلك... وهو يشتد ساعده ويترعرع، إن خفض الصوت في الكلام من الفضائل البشرية.

وعلى جانب من الدكان (لافتة) سوداء كتب عليها ما ترجمته: (من أتباع القديس يوحنا المعدان: صائغ الفضة العماري) وعلى مقربة منه دكاكين أخرى لا تختلف عن دكانه من حيث المظهر، وفيها رجال عليهم سيماء الجد، ومظاهر الوسامة.

وهناك طائفة من هذه الدكاكين في كل مدينة من مدن العراق تقريباً، وقليل ممن يرحل عن البلاد ولا يصطحب معه نماذج من مصاغات الفضة، والتي يحذق صنعها أبناء هذه الطائفة الغريبة.

فمن هم هؤلاء (الصابئة) يا ترى؟!.

إن العرب تسميهم (صُبّا) وهم يسمّون أنفسهم (المنداي) أو (الأغناطسيين) Gnostics. ولقد نجوا من الاضطهاد إلى حد ما بسبب أن المسلمين يعتبرونهم من «أهل الكتاب» و«الصابئة» الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وهم من عبدة الله الحق، وهم يزعمون أن صلة روحية تقوم بين عقائدهم وبين المسيحية، لذا يسميهم البعض «بمسيحي القديس حنا» وإن لم يكن في عقيدتهم، وفلسفتهم من المسيحية إلا القليل... إنهم يعيشون في شبه عزلة، ولهم لغة خاصة بهم، ولا يتزاوجون مع الأجناس وأهل الأديان الأخرى إلا في النادر.

ولما كانت الطهارة تلي القدسية في المرتبة، فلا بد وأن (الصابئة) هؤلاء أقرب مجاوري من في السماء! ذلك أنهم يمضون شطراً كبيراً من حياتهم اليومية في الاغتسال والتطهير، ويلتزمون بواجب الوضوء المقدس في كل حين. . . ولو انعدم الماء الجاري، أو النهر، في سكنهم لما وجدت فيه من هؤلاء ديارا!.

لقد عُنيت بهذا الشعب العجيب، وعولت على أن أكتشف، قبل رحيلي عن بلاد ما بين النهرين، شيئاً أصيلاً مما يتصل بحياتهم الخاصة. يقال إن أبناء هذه الطائفة يحرصون على أسرار دينها وطقوسه، ويجعلونها في حرز أمين، ولقد تأيد لي أن لا سبيل للوقوف على شيء من ذلك خلال محادثاتي مع من اتصلت به منهم في بغداد. ولما سمح لي بالسفر إلى (العمارة) وجدت فيها من هو أقرب إليَّ من حبل الوريد! ودارت بيني وبين (الشيخ جودة) أحاديث شتى عديدة. إنه «حبر الصابئة» ومن أظرف وألطف الشيوخ الذين اتصلت بهم إبان إقامتي في العراق. إنه لم يتردد في الإجابة عن أي سؤال وجهته إليه. ولو لم يكن وقتي ضيقاً لتسنى لي الوقوف على أكبر قسط مما كنت أتوق إليه من المعلومات.

يشترط في رجل الدين الصابئي أن يكون في منجاة من الشوائب الخلقية، وسالماً من الأمراض والعاهات البدنية. والشيخ جودة، كآبائه الأقدمين، من رجال الدين الصابئة. . . لذا نجده حسن الشكل ظريفاً متوداً، وعلى الرغم من أنه جاوز الستين من عمره المديد، فإن مظهره المريح يذكرك بـ(البطارقة)، ولعله خير نموذج لمن يشاء من الرسامين.

وهو جاز لـ(زهرون). . . وهذا أبعد صاغة الذهب والفضة من الصابئة صيتاً، وتدر عليه صناعته هذه رزقاً حسناً. إنه في الخمسين من عمره، ولو وضع اسمه على أي مصاغ لارتفعت في الحال قيمته أضعافاً مضاعفة. وفي إحدى المرات أهدى إليَّ ولي عهد إنكلترا (برنس أوف ويلز) علبة سكاير نقش على جانب منها منظر عراقي، وعلى الجانب الآخر صورة (الأمير) نفسه. والإشاعات تقول إن هذا الفنان، كغيره ممن سبقه من النابهين، مولع بالنبيذ الأحمر!، ولقد سبق أن قدم إلي (سريرسي كوكس المندوب السامي) طرفاً مما

يصنع فسأل (سريرسي) عما يرضى به (زهرون) كمكافأة على ذلك. . فأجيب: اهده صندوقاً من الشراب المعروف بـ(بورت Porte)! . لقد لمع اسم (زهرون) في سماء الصيت البعيد، والشهرة الواسعة وعرفه الناس في البلدان القاصية كأمهر أبناء طائفة الصابئة، غير مدافع، وغير منازع! .

وزهرون، بعد، رجل لطيف منتصب القامة، صبوح الوجه تعلوه ابتسامة ساخرة. إنه اليوم ثري، لا يعمل إلا أن صادف العمل هوى في نفسه، وهو يسخر لعمله طائفة من الصناع الماهرين والمستجدين، تعمل بإشرافه وبوحي منه .

ولنعد إلى الشيخ جودة، إنه بمثابة حبر الطائفة الأعظم ويسمونه الـ(كانزورو أو كانزفيرو)، وهو لا يميل إلى معاقرة الشراب، أو احتساء الشاي أو القهوة، أو التدخين، ولا يصيب شيئاً من السكر، فهي محرمة عليه جميعاً، وعلى سائر الروحانيين الآخرين أيضاً. ولهؤلاء أن يتزوجوا وينجبوا الأطفال، لكن هناك من الأشياء الخاصة بهم، كالخبز الذي يأكلونه، ما هو محرم صنعه أو لبسه على زوجاتهم. وهناك بعض المناسبات يحرَّم فيها على هاته الزوجات الاتصال بهم. ذلك أن دين الطائفة دين طهارة قبل كل شيء، ولا يقتصر ذلك على طهارة الجسد فحسب وإنما يشمل طهارة الفكر والعمل، إن للاغتسال والوضوء والتعميد، وهي من طقوس الطائفة الرئيسة، أهمية خلقية وتألهية أيضاً. وعلى الصابئي الصالح أن يزدان في حياته بضبط النفس وطهارة الذيل.

وإنك لتجد الشيخ جودة جالساً في أغلب الوقت إما في بيته الصغير تظلله شرفة خشبية. إنه يجلس القرفصاء على (الحصيرة) وأمامه منضدة صغيرة فوقها مواد الكتابة، وصندوق يضم الكتب المقدسة. هذه عصاه الروحانية، اللاعقفاء، تقوم على حائط البيت، خلفه، وتلك بعض الآنية والجرار المقدسة مبعثرة في أحد أركانه. وفي الساحة التي تقوم أمام بيته خليط من الحيوان. ففي ركن منها زريبة مفتوحة، وفيها بقرة تأكل العلف وترنو إلى الحبر وهو يصلي، أو يقرأ في أحد كتبه المقدسة. وهنا خروف سادر. . . وهذه بضع دجاجات باحثة في التراب، في قوقأة ونقنقة، وهاتان أوزتان تحدقان بعيون

زرقاء باهتة في الزائر. . . وتلك هرة تجري لسانها على جسمها، وتظللها الشرفة، وهي بجوار سيدها الكريم!

وهذا هو المطبخ خارج البيت وعلى جدرانه (الجَلَّة) وهي أقراص مجففة من روث الحيوان تستخدم وقوداً، وتلك خيمة عليها أستار أعدت للضيوف من النساء. ويمر عدد من أهل هذا البيت أمام الشيخ، وقد يبحث بعضهم معه طرفاً من الشؤون المنزلية بصوت مسموع. . . وسواء أكان هذا مستغرقاً في صلاته أم لا!!.

حقاً إن بيت هذا الرجل الديني ـ على بساطته ـ مغمور بجو عائلي ودي، نساؤه على أهبة الاستعداد دوماً، وتعلو وجوههن ابتسامة الرضى والترحاب. لقد تزوج الشيخ مرتين، والأخيرة من زوجتيه شابة لطيفة رزق منها البنون والبنات. لكن سيدة البيت، على ما يخال لي، ليست إلا أخته، وهي امرأة طويلة ظريفة وإن بلغت من الكبر عتياً. لقد أسهمت في أحاديثنا دوماً، وكثيراً ما ساعدت أخاها في شرح الموضوعات العديدة التي تتصل بشعائر الطائفة، وردت على استقصائي لمعانيها. وأول هذه: (الرستة)، إنها (العباءة المقدسة) التي تلبس عند إجراء فروض التعميد والزواج، أو أي جانب آخر من المراسيم الدينية. فالعروس والعريس يلبسانها في حفلة الزواج، وهي آخر رداء يرتديه الميت! إنها لباس الرهبان والأحبار إبان قيامهم بالمراسيم الدينية. والنساء، كالرجال، ترتدي (الرستة) عند التعميد، وفي المناسبات التي يجب عليهن ارتداؤها فيها. لقد أسميتها بالعباءة ولكنها في الحقيقة بدلة كاملة، ومعها غطاء للرأس. إنها مكونة من قطع عديدة. . . وقد يهمل بعضها عند اللباس فيما خلا العباءة.

وهذه القطع هي: (1) (الشالوالو)، وهو سروال قصير (لباس) قطني واسع يرتفع إلى الخصر، وله مشد قطني أيضاً (تكة)، ولا يخاط أحد طرفيها أبداً. و(2) (السدرو)، وهو قميص قطني طويل. (3) وعلى السدرو هذا، وعلى الجانب الأيمن منه بالضبط، تخاط قطعتان من مادة قطنية، طول كل منها حوالي البوصة، وتسمى القطعتان (ديش ـ شو). (4) ثم عمامة طول قماشها حوالي 4 ياردات ونصف، ولا يلف قسم منه بل يترك سادراً على

الكتف الأيسر و(5) الحزام أو الـ(هيميانو) وهو نسيج يتألف من 60 خيطاً قطنياً، ويحيط بـ(السدرو) في الخصر. و(6) شريط قطني طويل أشبه ما يكون بلفيفة، ويسمى (الكبوغة ـ أو الكنزالا) ويلف حول الرقبة. وهذا الأخير يستعمل كثيراً في الاحتفالات الدينية ويعلق عادة في الحزام. ويموت الصابئي فيكفن بـ(الرستة)، وتوضع الـ(كنزالا) فوق رأسه، ويخاط طرفاها تحت حنكه. ويجب أن تكون (الرستة) كلها بيضاء، لكن ما رأيته منها لم يكن ببياض الثلج بسبب غسلها دوماً بماء النهر... وماؤه عكر في الغالب مما يحمله من الطمى.. وعلى الرغم من ذلك كله فالرستة مطهرة على وفق ما تؤمن به الصابئة، وهو الأهم المطلوب.

ويستعمل الحبر الأعظم إبان قيامه بالشعائر الدينية قطعة من شريط صوفي خشن الملمس، ولا يزيد طوله على نصف اليارد وعرضه على البوصة. وطرفاه موصولان فيحاكي بذلك الحلقة، يضعه الحبر تحت عمامته، ويسمى (تاغه). كما أني وجدته يختتم بخاتم ذهبي منقوش يضعه في الأصبع الصغير من اليد اليمنى، ويسمى (ايساختو). أما عصاه الروحانية (ماركنو) فلا تفارق يده إبان القيام بالمراسيم الدينية أبداً.

ولا يُعَمَّد الصابئي عند مولده فحسب، وإنما يجري تعميده في كل أحد، وعندما يخالف قواعد الطهارة، فيصبح نجساً... وعندما يصيب من لحم لم يذبحه (الجزار الروحاني)... ففي مثل هذه الحال لا معدى من التعميد مجدداً، وعلى ما ورد في أحد الشعائر الدينية. وإن لمس جسم أخيه الصابئي (ذلك أن جسم غير الصابئي كجسم الحيوان (كذا!) ليس بنجس ما دام من الطين!) وجب عليه التعميد أيضاً. وإن أكل من فاكهة أو خضر لم تغسل، وإن دخل السجن، أو لدغته أفعى، أو لسعته عقرب، أو أكل من زبدة أعدها غير الصابئيين Gentiles، أو أخذ منه الغضب كل مأخذ، أو قفَّ شعره فرقاً، وجب عليه التعميد أيضاً. وإن نسي، أو أهمل شيئاً من فروضه الدينية، أو أصبح نجساً إبان قيامه بشعائرها، فلا عبرة بالساعتين اللتين قضاهما وهو يمارس هذه الشعائر، وعليه أن يبدأ الأمر من جديد.

والقديس الذي تُجِلُّه الطائفة كثيراً هو: (يحيى) أو (يوحنا المعمدان)

على ما يسميه النصارى. ويدَّعي الصابئة أنهم أخذوا بالتعميد منذ أقدم الأزمان، لذا لم يأت (يوحنا) بشيء جديد فيه. لكنه ظهر في زمن كاد اليهود فيه أن يغلبوا (الطائفة) على أمرها.

وتقول أساطيرهم إنهم كانوا يسكنون (أورشليم) في هذا الزمن بالذات.

وسيرة (يوحنا) مدونة في أحد كتبهم المقدسة، وهو المسمى (يحيى درافشود) وإنك لتجد فيه سرداً لما يتصل بمولده العجيب، وتربيته في الجنة، ثم نزوله إلى الدنيا يبلغ رسالته، وأخيراً وفاته، وصعوده إلى السماء صحبة أبيه السماوي (ماندو ـ صناي) «روح القوة في ميادين الفخار».

إنه عمَّد المسيح (يشو) إبان نزوله إلى الأرض وتبليغه الرسالة، فكان في ذلك منفذاً لإرادة السماء. وتردد في التعميد هذا أولاً لأن المسيح، في طفولته، أمر اليهود بالتبتل، وهو بنظر (يوحنا) عصيان لأوامر الله. وتبجل الصابئة (يشو) وتعتبره من القديسين، لكنها تؤمن بـ(يوحنا) حصراً، تدين له بالولاء كله، ذلك أن تعميده، بالغطس، أسمى وأقوم.

وتؤمن الصابئة، إيمان المسلمين والمسيحيين، بالله الواحد الحق ولا يعبدون غيره[1]. إن اسمه في لسانهم (الاها)، ويعتقدون أنه فوق الجميع، لكنه أناب طائفة من (الأوصياء) يمارسون سلطانه، ويسيطرون على العالم المنظور. إن (الأوصياء) هؤلاء مبعث القوة وسبب الطهارة، وقد تم خلقهم بمجرد نطق الخالق بأسمائهم. ومن هؤلاء الأوصياء الذين خلقوا: 360 (ملكي) وهم يخضعون جميعاً إلى عالم النور (أولمي دانهورو). إنهم يرتفعون عما عليه البشر من أحاسيس وعواطف لكنهم يتزوجون وينجبون الأطفال. إنهم

---

(1) يذكر ابن النديم في الفهرست قصة خلاصتها أن المأمون اجتاز ديار بكر قاصداً غزو الروم فتلقاه الناس وكان بينهم جماعة من الحرانيين يلبسون الأقبية وشعورهم طويلة فأنكر عليهم المأمون زيهم وسألهم أنصارى أنتم؟ قالوا: لا. قال أفيهود أنتم؟ قالوا: لا. قال أفمجوس أنتم؟ قالوا: لا. فغضب المأمون وقال إذن أنتم عبدة الأوثان. وأنتم حلال دماؤكم فذهبوا إلى شيخ فاضل من فقهاء حران وسألوه عن دينهم أهو من الأديان السماوية فأجابهم إنهم الصابئون المذكورون في القرآن.

على درجات ومراتب، وعالمهم يتسم بالخلود، ولا يعرف الفناء. وهم ليسوا بأرباب، كما أنهم ليسوا بملائكة، لهم سلطات روحية وأعطيات، وتقوم الملائكة على خدمتهم. والأوصياء المخلوقون الـ(ملكي) هؤلاء يقيمون الصلاة كسائر البشر لوجه الله العلي وهم يأتمرون بأوامر (الاها) في كل شيء.

ولهم أسماء يعرفها الصابئة، وإني لا أعرفهم جميعاً. ولست بسبيل إيراد هذه الأسماء، وإن عرفتها فعلاً. ومن أهمهم:

(1) (مورو ـ ايدار بوثو) وهو كبيرهم.

(2) (اواثر موزانيا) ويسكن فيما وراء النجم القطبي، وهو الذي يفصل في أمر أرواح البشر وهم يمرون من (المطهر)[1]، فيقرر إن كان التطهير بدرجة تؤهل الروح لدخول الجنة.

(3) (بتاهل) وهو المهيمن على مكان العقاب، والتطهير.

(4) (هيفل ـ زيفو ـ) وهو الذي عاد، وعلى رأسه إكليل الغار، من الأصقاع المادية السحيقة، تصحبه زوجة دنيوية اسمها (روحية)، وبذكراها يحتفل كل سنة، وهو العيد المسمى (ديهفو ـ هينو). ولقد حملت منه (روحية) ولداً جباراً عتياً اسمه (أور)، ثم بنيت على ظهره العوالم المادية كلها واستقرت على منكبيه العريضين، وستستقر أمد الدهر.

وتعاني الأرواح الشريرة، بعد موت أصحابها، من عذاب زفيره اللاهب المحرق، ومن زمهرير الهواء القارص الذي يستنشقه ويملأ به رئتيه الواسعتين. ولعل أفظع تهديد يمكن أن يوجه لآثم هو: «فليلتقمك أور!!»... وعلى ذلك عقب (زهرون) قائلاً: لا أدري كيف أن امرأة صغيرة كروحية استطاعت أن تلد مثل (أور) الجبار، يا خاتون! وتبسم من قوله ضاحكاً، لأفهم ما في دخيلة

---

(1) المطهر أو (المطراثي) عند الصابئة هو الشيء الثالث بين الجنة والنار وفيه تعذب الأرواح التي ارتكبت الذنوب البسيطة، ويكون عذابها لأمد محدود، ثم تنتقل إلى مواضعها في عالم الأنوار الذي يسمونه (المي دنهورا).

نفسه، وتابع حديثه: «وأنت تعلمين أنه يحمل الدنيا كلها على ظهره!!». . . وأفتر ثغره عن ابتسامة تشكك معبرة.

فقلت: «ومن يستطيع أن يدلي بفصل الخطاب في هذا الباب؟!» ثم انثنيت إلى الحبر الأعظم وسألته:

«وما الذي يراه جنابك؟».

ولم يشأ الأخير أن يتورط في جواب، ولكنه تقبل بروح سمحة ما ذهبت إليه من أن الأمر لا يعدو أن يكون من باب المجاز. . . أما (المتشكك فلاذ بالصمت المعبر العميق).

الاسكندولة
خاتم الصابئة المقدس وشعارهم القديم

إن صور الحيوانات الأربعة فيه ترمز إلى العناصر الأربعة: فالحية ترمز إلى التراب، والعقرب إلى الماء، والأسد إلى النار، والزنبور إلى الهواء، والاسكندولة كلمة مندائية معناها (سكين الدولة) وقد تعلق بالحزام للوقاية من الشر، وقد توضع فوق موضع القبر قبل حفره.

ويتضرع الصابئة إلى (الملكي) إبان إقامة الصلاة علّه يمنحهم البأس، والقوَّة. . .

وأوصياء الله، على ما يفرض فيهم، أرهف الجميع سمعاً إلى تضرعات المتضرعين وأسخاهم عطاء، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وتمر كل روح بعد موت صاحبها بالمطهر (ماتا راثو) حتماً، وسواء أكان صاحبها من الأخيار أو من الأشرار، وليس هناك من روح طاهرة كل الطهر فتتخذ سبيلها إلى (عالم النور) سراعاً... إن القديسين هم الذين يمرون به مسرعين، أما مرتكبو الذنوب فيمكثون فيه حتى يطهّروا منها، وما أن تنتهي مدة مكثهم إلا ونجدهم ماثلين أمام (اواثر) وهو يزن أرواحهم بالقسط! وإن بقي، بعد ذلك كله، وضر كثير على الروح، فلا معدى من إرسالها لتتطهر كرة أخرى. وفي خاتمة المطاف، يصل الآثمون، شأن القديسين أنفسهم، (موطن النور)، وينتهي الأمر كله، ثم يطوى الـ(ماتاراثو) طي السجل للكتب، ويختفي إلى غير رجعة. ولعل أغرب ما تراه الطائفة في خلق العالم أن هناك دنيا، ثانية، خفية، شبه مادية، وهي كهذه الدنيا تجري إلى مستقر لها، هو يوم الآخرة. وتزعم الصابئة أن هذه الدنيا الثانية تعايش دنيانا، ولكن لا سبيل إلى رؤيتها، وإن سلطنا عليها أبصارنا جميعاً. إنها دنيا مثالية تشبه (مدينة الله) على ما تخيلها (أوغسطين) أو (الدولة الخيالية) التي تصورها أفلاطون أو كما قال الشاعر هرك Herrick:

«... وإلى (جزيرة) كلما فيها ينبعث من الصميم دوماً» والعالم الآخر الذي تسميه الصابئة (مشوني كوشتو) أتم ما يكون طهراً وأمناً ودعة. ومن تلده أم دنيوية لن يدرك الكمال الذي يتسم به أهله، فهم خلق غريب، وإن أشبهوا البشر. وهم يتزوجون وينجبون الأطفال ولكنهم لا يستشيطون غضباً ولا ينتابهم الهلع، ولن تسيطر عليهم المشاعر الخسيسة.

والملك عندهم مشاع، وهم يصفِقون في الأسواق، ويُعَمّدون. إنهم كالصابئة لا يحلقون شعورهم ويرتدون أنصع الثياب ولا يقربون ما هو نجس. وما أن يأزف وقت الرحيل إلى الجنة إلا ويسيرون إليها خفافاً. إنهم لا يمكثون في المطهر إلا أمداً قصيراً، فهم على أشد ما يكونون طهراً، وليس الطاهر بحاجة إلى التطهير.

وهم لا يموتون، والدمع يترقرق في مآقيهم، ولا ينتابهم وصب، ولا تَرداد بينهم كسائر الناس. إن (ملك الموت) يزورهم بالذات داعياً. وعلى ذلك يتوضأ الـ(مشوني كوشتو) ويرتدي الـ(رستة)، تاركاً جسده شبه الروحي، ثم يسير في هدوء وطمأنينة إلى المكان الموعود.

قلت إن البشر يموتون والدمع يترقرق في مآقيهم، لكن الصابئي الصالح، والروحاني على وجه التخصيص، يموت ويفتر ثغره عن ابتسامة مشرقة. أما نساؤه فلا ينتحبن، أو يُعولن عند موته. وتقرر أساطير الطائفة أن كل دمعة تهمع[1] تؤلف نهراً كبيراً يشق على الروح الراحلة المتحررة عبوره.

وفي الحق أن مما يجعل القلوب تهفو إلى هذه (العقيدة) هو أن الصالح، بموجبها، من كان هاشاً باشاً طيب القلب ضحوكاً، والضحك له إعزاز خاص ما دام ذلك دليلاً على راحة الذهن، وأمن القلب.

فأعظم القديسين من كان أسرع الناس إلى الابتسامة طراً. وهناك سبيل آخر يسلكه الصابئي فيصبح في حال من القدسية، بل على مقربة من سكنة الـ(مشوني كوشتو). فالغرباء، من غير أهل الأرض، يلجأون إليها غالباً. ولكي يبلغ الإنسان هذا الشأن عليه أن يخلف آرابه الدنيوية، وملذاته الجسدية ظهرياً. والسبيل جد عسير، وهو أشد عسراً من السبيل التي يتخذها القس الكاثوليكي، ما دام الإنسان ملزماً أن يعيش بين الناس كواحد منهم، وأن يساكن أسرته وهو لا يصيب من مباهجها شيئاً.

وفي الحق ما أن تتم مراسيم (النبذ)، وتتلى على الميت الصلاة إلا ويتحول إلى شبح حي، ولا شيء أكثر من ذلك. بمقدور من ينبذ أن يتابع عمله كمزارع، أو كأحد بناة القوارب، أو صاغة الفضة، لكن حياته تتسم بالنبذ، والحرمان، والفناء الذاتي. وله أن يمتنع عن التدخين ومعاقرة الشراب، واحتساء الشاي أو القهوة. وهو حر في الامتناع عن إصدار أي أمر، أو الإفصاح عن أية رغبة. فإن احتاج إلى شيء وجب عليه القيام إلى ذلك بنفسه، أو فليستعفف عنه! وعليه أن يعتزل كل ما هو دنيوي، فلو اندلعت

---

(1) إذا سالت الدموع قيل همعت. (المترجم).

النيران في بيته وأتت على ما فيه من متاع، وماتت زوجه وهلك أطفاله اختناقاً فليس له أن يطلق ما تضيق به نفسه من أحاسيس ومشاعر!

وفي سنة 1880 كتب مسيو سيوفي عن الـ(شالمونو) وهو اسم تطلقه الصابئة على (الزاهد) فقال:

«... فلو جلس إلى طعامه وافتقد الخبز والملح فيه فليس له أن يسأل عنهما، وبمقدوره أن يقوم ليهييء منهما ما يريد. وإن سألته زوجه عما يريدها أن تطبخ له من صنوف الطعام فليس له أن يشير عليها بنوع معين، وعليه أن يجيب: ذلك من شأنك حصراً. وعليه أن يلبس البيض من الثياب، ووجهه يجب أن يطفح بالبشر دوماً»[1].

وتدعى الإجراءات التي تعزل الـ(شالمونو) عن عالم الأحياء (ساختو). وهي تبدأ بذهاب من يطلبها إلى حبر الطائفة الأعظم أولاً، فيقوم الحبر بالتحقيق عن نواياه السليمة مؤكداً له أن خطوة كهذه لن يرجع عنها، وتلي ذلك سبعة أيام يستعد خلالها الحبر والطالب للأمر، فإن أثبت الطالب أن رغبته مصممة ثابتة وجب عليه أن يشرع بالصلاة في (المعبد) طوال سبعة أيام بلياليها وفي كل يوم منها يأتيه الحبر الأعظم أو الكاهن. أما طعامه اليومي فلا يعدو 3 أرغفة رقاق من الخبز المقدس، وكل رغيف منها بحجم البسكت المعروف بـ Osborne ومعها شيء من لحم حمام[2] وقد غسل مسبقاً وأسبغت عليه البركة.

وتعرف هذه الإجراءات الدينية بـ(مورو ايدا ربوثو): يطحن دقيق الخبز

---

(1) «Etudes Sur La Religion des Soubbas» M.N. Siouffi 1880.
وكان سيوفي هذا نائب قنصل لفرنسا في الموصل. والظاهر أن الكتاب يزخر بمعلومات صحيحة تتصل بعقيدة الصابئة. لكن حبرها الأعظم يعتقد بأن فيه بعض الأغاليط ومنها ما اتصل بالمراسيم الدينية كالتعميد كما أن مصطلحات مسيو سيوفي تشوبها أخطاء هنا وهناك. وكتب أحد المستشرقين الألمان (بترماين Petermann عن هذه الطائفة قبله بسنوات عديدة). (المؤلفة).

(2) أكد لي حبر الطائفة الأعظم أن دم الحمامة لا يمص، على ما ورد في بعض الكتب خطأ. ذلك لأن الدم محرم على الطائفة في كل زمان. (المؤلفة).

المقدس ثم يعجن ويشوى في داخل المعبد، ويصنع منه مقدار 60 رغيفاً في اليوم الواحد، الرغيف تلو الرغيف. ذلك أن عدد الملائكة الذين يوكل إليهم حراسة الـ(شالمونو)، وإسداء العون له: ستون. وما لا يؤكل من أرغفة الخبز هذه يوارى التراب في المعبد، والمراد من ذلك أن الرغبات الدنيوية والملذات الجسدية التي تراود الإنسان الأول قد تم دفنها أيضاً، فإن لم يسعفه اللحم سمح له بشيء من الزبيب والجوز ليقيم به أوده، ولا يسمح بما هو أشد صلابة من ذلك.

وفي آخر الأسبوع يقام حفل يدعى إليه الـ(شالمونو) المستجد في بيت الحبر الأعظم. وما أن ينتهي الحفل إلا وينهض الروحانيون جميعاً وبيد كل منهم آخر لقمة من طعامه. ثم تقام صلاة الميت على الـ(شالمونو) بخشوع، وتلتقم اللقمة الأخيرة على غرار ما يجري بالنسبة لمن يموت حقاً. إن اللقمة الأخيرة بزعمهم هي التي تقيم أود الروح في رحلتها عبر المطهر.

إن نفسي لتمتلىء أسى وكمداً على زوج مثل هذا الإنسان. وفي الحق أنها قد تطمئن بقولهم إن لو قتل الزوج ولم تجر له مراسيم الدفن الدينية فإن روحه المحررة ستمضي سراعاً من المطهر إلى الجنة، لكن هذا عزاء لا غناء فيه لمن تزوجت كائناً حياً فأصبحت زوجة اسمية. إنها تقوم له، مع ذلك كله، بكل ما تستطيع من أمور البيت في غير إلحاف أو لجاجة. وقد تثور الزوج، على الرغم من كل شيء، في وجه الروحانيين وإن أصرت على أن تعيد زوجها من روح بلا جسد إلى جسد بروح أصبح طلاقها أمراً مقضياً، ولن تتزوج المطلقة في عرف الطائفة غالباً، فعليها إذن أن تستسلم إلى القدر المحتوم.

إن حياة الـ(شالمونو) أشق من حياة الروحانيين. فلا ضير أن يتزوج الروحاني وتتزوج الروحانية، وقد يكون زواجهما في عرف الطائفة إلزامياً. ومن يروم الانخراط في سلك الكهانة أن يبدأ تدريبه لذلك في سن مبكرة. وابن الروحاني، في الأغلب الأعم، روحاني الطائفة في قابل الأيام. ويعمد على وجه خاص عند بلوغه السابعة ثم يكون في المرتبة الابتدائية من نظام الروحانيين قبل أن يبلغ العشرين من العمر، وهو يقوم خلال هذه المدة بمساعدة الروحانيين المتقدمين عليه، كما يحفظ كثيراً عن ظهر قلب. وعليه أن

يرتدي الـ(رستة) إبان إسهامه في المراسيم الدينية. وتمر سنة أخرى فيصبح مرشحاً إلى درجة روحاني وعندئذٍ يسأل القوم عنه، إذ لا أمل لمن تشوب سلوكه شائبة في هذه الدرجة أبداً.

ثم تعقب ذلك طقوس رمزية غريبة يستهل بها الروحاني حياته الخاصة: فيُبنى أولاً كوخان متباعدان من القصب، ويمضي المرشح ليلته الأولى في أحدهما مسهداً طوال الليل ومصلياً. ثم يحرق هذا الكوخ ولا يبقى له أثر، فيمضي المرشح إلى ثاني الكوخين ويقضي فيه 6 أيام بلياليها مسهداً طوال الليل ومصلياً أيضاً. ولقد أكد لي الحبر الأعظم أن المرشح لن ينام طوال الأسبوع، فيغالب في ذلك الألم الجسمي بقوة الروح. ولو نجمت أي حال تحيله إلى نجس، أو أخذته سنة من النوم، أو رآى في نومه ما يراه الإنسان من حلم، لوجب عليه أن يعيد المراسيم والطقوس كرة أخرى. وفي كل يوم توضع عليه (رستة) جديدة. والمرشح ملزم بأن يتصدق خلال هذه الأيام على الفقراء فيطعمهم، ويؤدي الزكاة. وفي اليوم الثامن، وهو يوم الأحد، تقام على هذا الرجل المكدود مراسيم الدفن، ثم يؤخذ إلى النهر من قبل 4 روحانيين، ويعمد فيه. وعليه بعد ذلك أن يتعمد 3 مرات يومياً خلال الـ 60 يوماً القابلة والمخصصة لذلك دونما عرقلة أو تأخير.

ويقتصر طعامه إبان هذه الفترة على بعض الأنواع، كما يطلب إليه أن يختبز[1] بيده، ويجب أن ينقى الخبز سبع مرات قبل أكله فإن انتهت الـ 60 يوماً فيهمد الروحاني مرة أخرى ومعه نساء بيته هذه المرة. وفي اليوم التالي يقيم الروحاني مأدبة يوزع خلالها الصدقات والملابس على الفقراء والبائسين فيها. قد أصبح الآن روحانياً له سلطات تامة، وواجبات معينة وفي مقدوره أن يقوم بمراسيم التعميد، وسائر الطقوس الدينية، باستثناء مراسيم الزواج، فهي من اختصاص الحبر الأعظم حصراً.

ثم يأتي دور الحبر الأعظم إذ يقرأ عليه عند تنصيبه الـ(مساختو)، ولكن ذلك لن يصيره شبحاً حياً كما يحدث للإنسان السوي. فله أن يعتزل زوجه

---

(1) يصنع الخبز ويتخذه. (المترجم).

شهرين، ولا يعلق به أي شيء من المحرمات Taboo. وهناك بعض المراسيم الممتعة التي تجري إبان تنصيب الحبر الأعظم، ويضيق عن سردها مجال هذا الفصل. كما لا مجال أيضاً لوصف حفلة العرس التي تقام لأبناء الصابئة وبناتهم، وما يتخللها من طقوس التطهر، ولكن سأصف عملية كتب لي أن أشاهدها من أولها إلى النهاية:

ففي أحد الأيام (والصابئة تهدي أول أيام الأسبوع إلى الشمس شأن الغربيين) دعاني الحبر الأعظم إلى بيته قبل الظهر، حيث تبدأ المراسيم في مثل هذا الوقت من النهار. وما أن دخلت البيت إلا رأيت الحبر الأعظم يهرع لارتداء الـ(رستة) ويتوضأ. وسرعان ما عاد، وبيده عصاه الروحانية وقد لبس البياض، ليقف على حصير، والشمس خلفه، وبذلك أصبح قبالة النجم القطبي... ثم بدأ بصلاته.

أما أخته فقد جلست وراء ظهره وهي تلف سيكارة وترنو إليَّ بإعزاز، وتنطق بين الفينة والفينة كلمة توضيح، أو تدلي ببعض المعلومات المتصلة بأسرة (الحبر) بصوت غير منخفض...

وكانت كتب الحبر الأعظم موضوعة في حقيبة صغيرة رميت على الأرض. وهناك وعاء صغير وسميك مصنوع من الطين المفخور يتوسط إناء له مرشفتان في الجانبين، وقد وضع الإناء على مسند مدور مصنوع من الطين المفخور، وهو مجوف في الوسط قليلاً. (وجيء بالخشب ووضع عليه الفحم وأشعل جيداً). وعلى مرشفة الإناء وضع شيء أشبه ما يكون بدواة مربعة، وبها بخور مسحوق. وعلى مقربة من ذلك، وعاء نحاسي وقنينة زجاجية، وشيء من الطعام، وبعض أغصان طرية من شجر الآس[1]. ووقف ابن الحبر الأعظم، وهو ممن يسعون إلى الدخول في سلك الروحانيين، قريباً ليكون في

---

(1) ذكر الآس وقيمة شرائه في الكتابات القديمة في العهد البابلي القديم والعهد الآشوري القديم. وهو يستعمل في القبور ويوضع في التابوت وقد يزرع حول القبور وهو مذكور في (التلمود). إن الراقصين في مقدمة موكب الزفاف يحملون بأيديهم الآس. واسم الآس بالبابلية مثل العربية (آسو) وبالسريانية (آسا).

عون أبيه. لم أر رجلاً في حياتي يصلي بنفس طويل، واستمرار كالحبر الأعظم. ولقد دأب على صلاته ساعتين تمت خلالهما عملية التعميد. ولم يستخدم أي كتاب إبان ذلك ما خلا بعض أقسام صلاته. إنه يتلو صلاته عن ظهر قلب، ولم ينقطع صوته خلالها أبداً. فبدأ أولاً بإسباغ بركته على كل قسم من أقسام (الرستة) التي يرتديها، ثم أخذ يرمي شيئاً من البخور في الصحن، ويقوم في أثناء ذلك بطقوس متقنة جداً. وهنا وضع (الحبر) شيئاً من الطعام في آنية، ثم اختفى ليصنع الخبز المقدس (بيثو). وما أن عاد من ذلك إلا وشرع في اختبازه. أما أخته فألبست ابن أخيه الصغير الرستة، وأخذ الطفل يرنو إلي مبتسماً على الدوام. وأسهم الطفل في المراسيم الدينية هذه وأخذ يكرر بعض ما يرتله (الحبر الأعظم)، ثم التقط أفانين الآس، وجمع الحبر جمع أدواته ومشى الجميع وأومأ إلي بأن أسير في أثرهم. وأكدت لي الأخت أن كل هذا سيعاد كرة أخرى في الغد.

وسرنا على حافة شارع صغير حتى بلغنا النهر، وقد قام على ضفتيه بيت كانت المرأة التي يراد تعميدها تنتظرنا فيه. ولم يكن هذا بالتعميد الذي يجري في يوم الأحد عادة، ولكنه التعميد الذي يتم في أعقاب الولادة. ومهما كانت برودة ماء النهر، أو سرعة جريانه، فلا معدى من أن تعمَّد المرأة في الأحد الرابع من ولادة طفلها، وما لم يتم غسلها فهي غير طاهرة، ولن يجرؤ على لمسها أحد. وتفرد لمثل هذه المرأة أواني الطبخ والأدوات اللازمة الأخرى، ومن الضروري أن يجري تطهيرها في نفس الوقت الذي تعمد فيه المرأة.

والبيت الذي وصلناه بيت لطيف نظيف تحف به الأشجار وينمو في باحته النبت العميم. ووجدنا فيه بعض الروحانيين والروحانيات في انتظار مقدمنا... وسرعان ما بدأ الجانب العلني من الصلاة. ولست بسبيل الإسهاب في وصف تلك الطقوس المعقدة، والبخور يتصاعد خلالها فيملأ الجو، وما جرى من اغتسال ولّي لأغصان الآس وجعلها تشبه الحلقات وما إلى ذلك. ذلك أن أهم ما في ذلك كله هو التعميد الفعلي. وكانت المرأة التي يراد تعميدها مرتدية الـ(رستة)، وفوقها عباءة، وهي تقف على حافة النهر، وتنتظر. إنها ليست بطاهرة فلا سبيل لدخولها الدار. وخاض الحبر الأعظم في النهر،

حتى بلغ ماؤه الركبتين، وبيده عصاه الروحانية. وبعد أن قام ببعض المراسيم دعا المرأة إلى خوض النهر والاتجاه إليه. وصدعت المرأة بما أمرت ثم غمرها الماء كلياً لثلاث مرات، وكان الحبر الأعظم يرمي عليها الماء ليتوثق من أنها ابتلّت تماماً ثم أعطاها من ماء النهر لتشرب. وأخذ برأسها بعد ذلك وجعل يغطسه تحت مائه مرات عديدة.

وخاضت المخلوقة المبتلة ماء النهر خارجة وهرع الأطفال وكل منهم يحمل أحد الآنية «الملوثة» إلى الحبر الأعظم الذي أخذ يتناول كل إناء ويدخله في ماء النهر وهو يرتل صلواته بلا انقطاع.

وعاد الكل إلى البيت، والمرأة مبتلة من رأسها إلى أخمص قدميها، فوقفت أمام الحبر الأعظم ليسبغ عليها بركته، ثم تلت ذلك بعض المراسيم الأخرى... وسمح لها بأن تنصرف. أما طفلها فيجري تعميده في فرصة قادمة.

إن مثل هذا التعميد المستدام لا بد وأن يجعل من أبناء طائفة الصابئة صلاب العود، أشداء، ذلك أن ماء النهر إبان الربيع، والثلوج تصب ذوبها فيه، على أشد ما يكون برودة. وإن امرأة حملت طفلها وهنا وزادتها (الولادة) وهنا على وهن، لا بد أن تتجلد إزاء قسوة الماء البارد في مثل هذا النهر. ويقال إن كثيراً من الأمهات الضعيفات يمتن إبان التعميد.

وتجري جميع المراسيم الدينية بلغة المنداي، وهي لغة قديمة يتكلمها جميع الصابئة ويكتبون بها... وذلك على الرغم من أن لسانهم العربي يتفصح بطلاقة.

إنهم يتكلمون العربية في بيوتهم، أما المندائية، وهي من اللهجات السُريانية، فيتعلمها أطفال الصابئة جميعاً ويتكلمون بها.

وهذه الطائفة تسير إلى فناء، إذ لا يزيد عدد أبنائها اليوم على بضعة آلاف شخص، وذلك على الرغم من لطافة بنية هؤلاء الأبناء وأمانتهم والتزام النظافة في معيشتهم.

ومما يملأ قلوب أبناء الطائفة بالأسى أن تعمد بعض الصابئيات إلى

الزواج من جيرانهم المسلمين. فقد تهوى إحدى العذارى الصابئيات شاباً، ثم تسعى إلى استمالة رجال الصابئة وإقناعهم بأن الاصهار إلى أسرة مسلمة سبب في حمايتها من الاضطهاد، أو القتل في يوم من الأيام.

وأراني الحبر الأعظم كتب الطائفة المقدسة. إنها لم تطبع، ولكنها مكتوبة بخط واضح جميل. والروحانيون يكتبونها لقاء دريهمات معدودات، وقد يستغرق استنساخ (كتاب الله) شهوراً عدة. والكتاب الرئيس من بينها هو كتاب الـ«كنزا ـ رابا» وهو في جزأين، وأحدهما مكتوب بوجه مقلوب. ويقول البعض إن ذلك ييسر قراءته من قبل راهبين فوق الماء الجاري. ولقد أنكر مثل هذا القول الحبر الأعظم، وقال إن القسم المقلوب يتضمن الصلاة على الموتى.

ويأتي بعد هذا الكتاب ما يسمى بـ(يحيى درافشود) وهو عبارة عن سيرة ومعتقدات القديس حنا، ثم (نيان الراحاني) وهو من كتب الصلاة، و(كتاب المسوتيا) وفيه مراسيم التعميد، ثم (كتاب القلستا) وفيه مراسيم الزواج، وأخيراً (النشيترا) وهو مجموعة من الصلوات، ويتضمن نظام الطقوس المختصة بـ(المساختو) أيضاً. هذا وإني لا أعتقد أن الحصول على نسخها بالأمر الصعب البعيد، إن كان المرء على استعداد لدفع الثمن. ذلك أن استنساخ الكتب المقدسة هو من موارد الدخل لدى الروحانيين، يضاف إليها رسوم التعميد، وخمس الدخل السنوي، وهو ما يقوم الصالحون من الصابئة بدفعه إلى الروحانيين.

ويحترف صابئة العمارة والناصرية وسوق الشيوخ حرفة واحدة، تكاد تكون مقصورة عليهم ونعني بها بناء (المشاحيف)، وهي قوارب مجوَّفة تستخدم في البطائح (أهوار العراق). ولعل هذه الصناعة اليدوية قديمة قدم بناء القفة. وهناك كثير مما يحملنا على الاعتقاد بأن الصابئة شعب قديم، ذو تاريخ موغل في القدم. ولعل من أخص ذلك هذه الأسماء التي يطلقونها على النباتات، وهي في كثير من الحالات أسماء الآلهة القدامى، وعلى ما عرفتهم هذه البلاد بالذات ـ منها: شماش، سن، سيرا، ليفت، نيراغ، كيوان، امنبو، بعل. إن هذه تعود إلى الزمن الذي كانت المعابد الزقورية قائمة في سهول هذه البلاد، ما في ذلك شك.

ومن الكلدانيين استعار الصابئة إجلالهم النجم القطبي. وخلف هذا النجم يجلس (اواثر) ليحكم بين الناس بالعدل. إنهم يعتقدون أن السيارات أرواح، ولكل روح منها واجب يقوم به في العالم المنظور. فشماش إله الشمس العريق، يحكم النهار، وسيرا (القمر) يحكم الليل. أما ليفت (الزُهْرة) فهي التي توحي بالاختراع وتوجه الصناعة البشرية ـ لذلك فإن الطائرة والتلفون من آثار فعلها في عقول البشر. و(نيراغ) ـ المشتري ـ هو الذي يجلب البرق ويسبب الحروب، و(كيوان) سبب الرعد، و(رابنوا ـ أو نيبو) الذي ينزِّل المطر، ويرسل السحاب. أما (بعل) الذي كان للبابليين ربّاً أعظم فإنه يحكم النجوم غير المأهولة.

ولا تصلي الصابئة لأرواح السيارات هذه، ولكنهم يعتقدون أنها تؤثر في البشر والحوادث. لذا فإن علم النجوم محترم لديهم، ولن يقدم أحد على مغامرة ما بدون استشارة النجوم. فإن ولد طفل عني أبواه بالكشف عن طالعه على ما تنبىء أيام السعد، وأيام النحس، وعلى ما يقرره سحر النجوم. ولنسأل أنفسنا (أنحن أكثر من هؤلاء علماً ولدينا من أمثال كتاب Almanach وOld Moore's، والفلكيين، وقراء البخت؟!.

إن الصابئة[1] من المتألهين وليسوا ممن يؤمن بالخرافات، ودينهم يؤمن بعالم آخر، ولهم مثل عليا تتصل بالروحانية والسلوك. وتمثل جميع الطقوس الدينية والصلوات المطولة أمراً واحداً: ميلاً شديداً إلى طهارة القلب ونقاء الروح، وبذلك تتصل حياتهم بالسماء، وإن طهارة أرواحهم هذه تشبه طهارة أرواح المخلوقات المعصومة والتي تسكن العالم الغريب (مشوني ـ كوشتو).

---

(1) يعتقد الصابئة «المندائيون» أنهم يتبعون تعاليم آدم، ولديهم كتاب الكنزا ـ أي صحف آدم ـ غير أن تقادم العهد على الرسول الأول للدين ونشوء بعض المذاهب الزائفة والأديان الوثنية، كل هذه أدخلت تعاليم غريبة في الدين، فجاء (يحيى) ليخلص الدين من هذه المذاهب الدخيلة، ولم يكن رسولاً، بل نبياً خاصاً بهم، الدكتور عبد الجبار عبد الله (رئيس جامعة بغداد): في هامش كتاب (العراق في القرن السابع عشر) ص103 (بغداد 1944م).

هذا الكتاب

من الأجانب الذين زاروا العراق أو أقاموا فيه طائفة من الدراس والبحاث امتازوا بطول الأناة والدأب على تقصي أوضاعه العامة والنفاذ إلى جوانب مختلفة من حياة أبنائه وإنتاج المؤلفات القيِّمة عن ذلك كله. ولمؤلفة هذا الكتاب ليدى درور E.S. Stevens مصنفات عدة تناولت فيها موضوعات (الصابئة) و(اليزيدية) و(مأثورات العامة) وعدت في موضوعاتها من المراجع الأصيلة. ومنها هذا الكتاب الموسوم بالأصل (By Tigris and Euphrates) وهو مجموعة فصول تنطوي على نظرات عابرة، ولكنها عامرة ونافذة إلى جوانب كثيرة من حياة البلد وسكانه العامة: اجتماعية كانت، أو روحية، وتاريخية كانت أو أثرية. ولقد كتبتها المؤلفة بأسلوب سلس يسير، وقصصي ممتع، وكان ذلك في مطلع تشكيل الحكومة العراقية فيالعهد الملكي.

من المقدمة

دار الوراق للنشر

Alwarrak Publishing Ltd.